الفصل الثامن

أثر الجماعة فى الاتجاهات* والسلوك الاجتماعى

بقلم

دانيل كاتز

جامعة ميتشجان

بالرغم من ظهور بعض البحوث التجريبية المتفرقة ، فإن علم النفس الاجتماعى لم يبدأ بقوة دافعة إلا بعد بحث أولبورت عام ١٩١٩ عن أثر الجماعة فى أداء الفرد . ولقد ظل المحور الرئيسى فى تجارب المعمل لعلم النفس الاجتماعى دراسة السلوك فى ظروف اجتماعية مختلفة . ولقد سبق ذكر بعض النتائج فى هذا الصدد فى الفصل السابق، ولكنا هنا سنركز اهتمامنا على تجارب تعتبر ممثلة لأثر الجماعة .

تجارب فى تأثيرات الجماعة

التيسير والتعطيل :

تشير نتائج درسة أولبورت إلى أنه فى حالة العمل مع جماعة ، يزيد الإنتاج إذا كان النشاط من النوع الحركى، ويقل فى النوع إذا كان من النوع العقلى[١] وقد أيدت هذه الحقائق نتائج باحثين آخرين ، وإن كان التفسير الأصلى لأولبورت محتاجاً لشىء من التحديد . ومن ذلك نذكر على سبيل المثال بحث داشيل الذى أوضح أن زيادة الإنتاج فى الموقف الجماعى يمكن إرجاعها إلى عوامل التنافس التى لا يمكن ضبطها أكثر من إرجاعها إلى عملية التيسير الاجتماعى[٢] وإن دراسات هويتمور Whittemore تشير إلى أن تعمد اتخاذ

(*) قام بترجمة هذا الفصل الدكتور مختار حمزة .

الاتجاه التنافسى يؤدى إلى زيادة السرعة فى العمل دون تغيير الظروف الموضوعية[٣] ولكن لا تزال هناك تلك الحقيقة الخاصة بزيادة النشاط والعمل فى الموقف الجماعى — حتى ولو لم تكن هناك مؤثرات تدعو للتنافس بينهم — وتكون هذه الزيادة أوضح عما لو كان الأشخاص يعملون فرادى .

وقد قام لورنز Lorens بدراساته على العمال فى المصانع ، فقارن بين العمال حينما يعملون بمفردهم وحينما يعملون فى جماعة . وكذلك قارن بين آراء الجماعة التى يوزع العمل فيها على الأفراد ، وبين المجهودات الفردية[٤] وقد وجد أن إنتاج الجماعة المتعاونة يزيد ٤٠٪ عن إنتاج الأفراد ، ويعزى ١٠٪ من ذلك إلى أن نظام العمل الجماعى — من حيث سرعته وإيقاعه — يؤدى عن طريق التأثيرت البصرية والسمعية الصادرة عنه إلى تدعيم الجهد الإرادى .

ومن التطبيقات التى تبين أثر التعطيل الذى تحدثه الجماعة دراسة ترافيز L.E. Travis على نفر قليل ممن يتصفون بالنهمة[٥] . عشرة من هؤلاء طبق عليهم اختبار تداعى المعانى غير المقيد فى موقف « فردى » وموقف « جماعى » . وكانت النتيجة أن ثمانية من العشرة ذكروا من الارتباطات حينما كانوا يختبرون وهم على انفراد أكثر من تلك التى ذكروها وهم مجتمعون . ويبدو أن ارتباك هؤلاء الأشخاص فى المواقف الاجتماعية ينتقل من المواقف الشفهية إلى المواقف التحريرية أيضاً .

أثر التسوية :

الاقتراب من المستوى العام للجماعة : أظهرت الدراسات المبكرة التى قام بها مود Moede أن هناك محاولة للوصول إلى مستوى الجماعة نفسه ، أو بعبارة أخرى يميل الأفراد الذين يغلب عليهم البطء إلى الإسراع ، ويميل المسرعون إلى الإبطاء[٦]. وقد أيدت هذا الكشف نتائج لورنز فيما يختص بعمال المصانع . ففى جماعة معينة من العمال يعملون حول نَضد ظهر أن أسرع العمال أخذ

يبطئ ولكن ليس إلى الحد الذى أسرع به أبطأ العمال . ولا يقتصر الأمر على تأثر الأفراد بالجماعة ، ولكن تبين أن الجماعات تتأثر بجماعات أخرى . فقد نقص إتقان جماعة جيدة وضعت لتعمل بين جماعتين من مستوى ضعيف ، فى حين أن وضع جماعة ضعيفة بين جماعتين قويتين أدى إلى رفع مستوى كفايتها .

والناس لا يكيفون أداءهم فقط لموقف الذين يعملون معهم ، ولكنهم يعدلون أيضاً آراءهم وأحكامهم فى اتجاه معيار الجماعة . ولقد أجرى أولبورت تجربة كان المختبرون فيها يحكمون على وزن أثقال معروفة ، وعلى روائح ، مرة فى موقف جماعى ، ومرة وحدهم[١] . وفى الموقف الجماعى لم تكن الأحكام تقال بصوت مرتفع حتى لا يعرف أحد إجابات غيره . وبالرغم عن حقيقة أن رأى الأغلبية لم يعلن ، فإن الأفراد كانوا ميالين لتجنب الأحكام المتطرفة فى الجماعة ، فكانوا يتجهون إلى معيار مناسب فى الموقف الجماعى أكثر مما كانوا يفعلون فى أحكامهم المنفردة ،

ولقد درس مظفر شريف M. Sherif المشكلة من زاوية أخرى ، وأظهر نمو معيار الجماعة فى الأحكام الإدراكية فى موقف بالمعمل[٧] وقد اتخذ شريف ظاهرة الحركة الذاتية كموقف مبسط قد يكون للإيحاء الاجتماعى أثر كبير فيه . وفى التجربة التقليدية للحركة الذاتية يحدق الشخص المختبر فى نقطة مضاءة فى غرفة مظلمة . ولو أن الضوء ثابت إلا أن الشخص يراه عادة كأنه يتحرك إلى أعلى وإلى الجانب ، وقد يرجع هذا جزئياً إلى تعودنا النظر للأشياء فى إطار محدد ولكنه هنا غير موجود . ولقد كان عند شريف مجموعات من ثلاثة أو أربعة أشخاص يذكرون الحركات المدركة بصوت مرتفع ، ووجد أنهم بالتدريج اتجهوا ناحية معيار جماعى ، ولو أنه كان لا يزال يوجد بعض الفروق بين أحكامهم الفردية ، فإن المدى كان محدوداً . وكان المعيار والمدى مميزين لمجموعة ، وإذا ما مر الفرد بتجربة الجماعة هذه ، فإن حكمه بعد ذلك حين يكون بمفرده يظل قريباً من معيار الجماعة القديم . ومضمون هذا أن

المعايير التى نبنيها فى خبرتنا الجماعية الخاصة تؤثر فى تقرير سلوكنا وتحديده حين لا نكون فى موقف الجماعة الأصلى ، ولقد وجد شريف فضلا عن ذلك أن بعض الأشخاص الذين أجرى عليهم تجاربه ، والذين سمح لهم بتكوين معاييرهم الفردية الخاصة قبل خبرة الجماعة لم يكونوا مستعدين للتأثر بسرعة بما يقوله زملاؤهم حينما وضعوا فيما بعد فى موقف جماعى .

تتفق هذه النتائج مع أبحاث مور Moore وآخرين فى أثر رأى الأغلبية . الناس يعدلون آراءهم ومعتقداتهم تبعاً لما يقوله ويفعله الآخرون ، ويتجهون شعورياً أو لا شعورياً نحو معيار الجماعة .

آثار المناقشة الجماعية :

لقد اهتم كثير من المجربين بدراسة آثار المناقشات الجماعية حول مشاكل واقعية ، وحول حلول المشاكل العقلية . إن قانون الأنجلوساكسون يعتمد على الجماعة فى تقدير الحقائق فى محاكمة جنائية ، والنظرية فى ذلك هى أن المناقشة والمداولة بين اثنى عشر شخصاً تتمخض عن حكم أكثر صدقاً من تقدير شخص واحد ، فضلا عن أن هذه المناقشة ستساعد فى الوصول إلى تقرير الصدق .

ولقد تناولت التجارب على آثار مناقشة الجماعة أربع مشكلات :

١ — كيف تؤثر المناقشة فى دقة وكفاية الحكم على إدراكات أفراد الجماعة .

٢ — كيف تؤثر على دقة أحكامهم فى تقدير شهادة الآخرين .

٣ — كيف تؤثر على حل المشاكل العقلية .

٤ — كيف تؤثر على أحكامهم الاجتماعية حول مشكلات خاصة بالقيم .

ومن مساهمات الرواد فى حل المشكلة الأولى ، دراسة منستر برج Münsterberg عام ١٩١٤ . لقد عرض منستر برج لفصوله بالجامعة بطاقات تحتوى على مجموعات كبيرة من النقط فى مجموعات عشوائية (٨) . ولقد كان على

الطلبة أن يصدروا أحكاماً فردية بخصوص أى بطاقة تحتوى أشكالا أكثر . وبعد المناقشة أصدروا أحكاماً ثانية . وفى أحد فصول الدراسات العليا ، كان هناك تغيير من تصويت ٥١٪ صواب لتصويت ٧٨٪صواب ، ولكن فى فصل آخر لطلبة لم يتخرجوا بعد ، لم يكن هناك تحسن له دلالة . كذلك درس بختَرف ولانج Bekhterev and Lange أثر مناقشة الجماعة فى تقدير الوقت وفى الإدراك الحسى البصرى[٩] . وقد طلبا إلى الأشخاص تقدير الفترة الزمنية بين دقتين على مكتب ، وكانت الفترة دقيقة ونصف دقيقة . وقد اقترب أناس أكثر من الإجابة الصحيحة بعد المناقشة منهم قبلها ، وفى تجربة أخرى ، طلب من ١٣ شخصاً أن يقرروا الفرق بين مجموعتين من الصور لكل من ٦ حيوانات معروفة . وكانت النتيجة أنه لوحظ قبل المناقشة ٣٣ تفصيلا صحيحاً ، و ٩ تفصيلات خاطئة ، وبعد المناقشة ٤٠ صواب ، ٢ خطأ . وطلب من مجموعة ثالثة ملاحظة أوجه الشبه بين صورة امرأة وفتاة بالغة . وقد أدت المناقشة إلى رفع عدد أوجه الشبه إلى درجة كبيرة .

وبالرغم من أن تبادل الآراء فى عملية المناقشة تساعد على رفع مستوى حكم الجماعة عن التقدير الأول ، فإن من العوامل الهامة اختلاف الرأى الأصلى ، ومعرفة كيفية الاختلاف . ولقد طلب جنس Jenness من بعض الطلبة أن يقدروا عدد حبات الفول فى قدر ، ثم قسم الطلبة إلى خلقات مناقشة على أساس اختيارى[١٠] . فاحتوت إحدى الحلقات على طلبة كانوا يقتربون فى تقديراتهم الأصلية . والحلقات الأخرى تضمنت أناساً كانوا يختلفون بعضهم عن بعض بدرجة كبيرة . وفى هذه الحلقات الأخيرة التى تمثل اختلاف الرأى وجد أن ٢٠ من ٢٦ فرداً تحسنت أحكامهم . ونقص متوسط خطئهم بمقدار ٦٠ ٪ ومن المجموعة التى تمثل الاتفاق فى الرأى ١٢ من ٢٤ فرداً تحسنوا ، ولكن متوسط الخطأ نقص بمقدار ١٧٪ فقط .

والمشكلة الثانية ، أثر المناقشة فى تقدير شهادة الآخرين ، قد تناولها

داشيل [٢] J.F. Dashiell بدقة . فقد مثل حادثاً فى أحد فصوله . وبعد ذلك طلب من طالبين ، أحدهما كان يجلس قريباً والآخر بعيداً ، وصف ما حدث أمام سبعة طلبة محلفين ، ممن يدرسون علم النفس القضائى . وقد أخذ تسجيل مختزل لكى يلجأ إليه الباحث فقط . وبعد ذلك كتب كل محلف قصة كاملة بقدر الإمكان للحادث من ذاكرته وتفسير تقارير الشاهدين ، بعد ذلك تقابل المحلفون وتناقشوا فيما قد حدث ، وأخيراً اتفقوا على تقرير للحادث. وكانت النتائج :

١ — أن المحلفين الأفراد لم يكونوا مستوفين فى تقريرهم كأى من الشاهدين .

٢ — أن دقة الأفراد المحلفين فى تقريرهم لم تصل إلى درجة دقة أكثر الشاهدين دقة ، ولم تكن ضعيفة بدرجة أقل الشاهدين دقة .

٣ — التقرير الجمعى لم يكن بدرجة استيفاء تقرير أى من الشاهدين ، بل حتى لم يكن بدرجة استيفاء تقرير المحلفين الأفراد .

٤ — أن حكم الجماعة كان أكثر دقة من قرار أى فرد سواء من الشاهدين ، أو المحلفين . فهو قد أنقص متوسط خطأ المحلفين الأفراد بنسبة ٥٩٪

وفى سلسلة أخرى من التجارب ، عرض داشيل فيلماً لقصة هزلية مثيرة للانفعالات على جماعات من ثلاثة إلى خمسة مشاهدين ، هؤلاء المشاهدون أحضروا كل واحد بمفرده أمام مجموعات من المحلفين ، وفى كل مجموعة من ١٢ إلى ١٥ فرداً . وأدلوا ببيان عن كل ما يمكنهم أن يتذكروه من هذا الفيلم . وبعد سماع المشاهدين كتب المحلفون كل على انفراد ما يمكنه جمعه من قصص المشاهدين . ثم قسم المحلفون إلى مجموعات من ثلاثة أو خمسة للمناقشة والمداولة حتى تستطيع أن تتفق كل مجموعة على صيغة أساسية للقصة الأصلية ، وكان عدد مجموعات هيئات التحكيم ٢٤ . وفى كل حالة كان القرار النهائى لهيئة التحكيم أكثر دقة من متوسط تقرير الأعضاء المكونين لها . ومن بين ١٠٩ محلفين ، ١٤ فقط وصلوا لتقديرات معادلة أو أحسن من تقديرات جماعتهم .

المناقشة الجماعية وحل المشكلات :

لقد درست المناقشة الجماعة فيما يتصل بأثرها فى حل المشكلات العقلية . ولا ينصب الاهتمام هنا على تقدير الشهادة، بل على حل المشكلة ، ولا يجوز أن نقرر تفوق المناقشة الجماعة إلا إذا كانت نتائجها أحسن من متوسط العمل الفردى للأعضاء .

وقد قارن واطسون G.B. Watson بين تعاون الجماعة وبين الأداء الفردى فى أعمال تتنوع فى الصعوبة من فهم الجمل إلى كشف مفتاح الشفرة[١١] . وقد عملت صور أخرى لكل الأعمال بنفس درجة الصعوبة حتى يمكن أن يعالجها الفرد نفسه أولا، بمفرده، وثانياً، فى لجنة أو جلسة مناقشة، وثالثاً بمفرده مرة أخرى . وقد ثبت تفوق الطريقة الجمعية فى كل الأعمال بالقياس إلى متوسط الأداء الفردى. وكان الاختلاف ضئيلا جداً فى اختبار الفهم ، ولكنه كبير فى حل مسائل تكميل الجمل .

وأفضل ما تم من بحث بشأن مقارنة الجماعة المتعاونة بالفرد فى حل المشكلات العقلية قام به شو M.E. Shaw[٢١]، والمشكلات التى استعملها شوكانت تتضمن عدداً من الخطوات ، ويجب أن يكون كل منها صحيحاً للوصول إلى الحل النهائى الصحيح . فمثلا فى إحدى المسائل ، ذكر أنه يوجد ستة أشخاص ، ثلاث سيدات س١، س٢، س٣ وأزواجهن ز١ ، ز٢، ز٣ والجميع يقفون عند الجانب « ا » من النهر ، والمشكلة هى أن نجعلهم يعبرون إلى الجانب الآخر « ب » من النهر بوساطة قارب واحد يستطيع أن يحمل ثلاثة فقط فى كل مرة بالشروط الآتية : ا ــ ألا توجد زوجة بصحبة رجل آخر إلا إذا كان زوجها حاضراً أيضاً ، ب ــ أن كل الرجال يمكنهم التجديف فى حين لاتستطيع ذلك أى واحدة من النساء .

كانت مجموعات تتكون كل منها من أربعة أفراد تعمل فى غرف منفصلة ،

وكل شخص كانت لديه الفرصة أن يستجيب لاقتراح أى شخص آخر . ومجموعة أخرى من الأشخاص تناولت المشكلة فردياً . بعد أسبوعين ، أعطى الذين كانوا يعملون فى مجموعات مشكلات جديدة لحلها فردياً ، فى حين وضع الذين كانوا يعملون فرادى فى مجموعات من أربعة للتعاون فى حل المشكلة . وكان هناك تسجيل يدونه ملاحظ يلاحظ عملية التفاعل فى كل حالة .

ولقد أظهرت النتائج برهاناً قاطعاً على تفوق الجماعة المتعاونة . ففى النصف الأول من التجربة ، وصل المشتغلون الأفراد إلى خمسة حلول فقط من بين ٦٣ حلا صحيحاً ممكناً ، وأنتجت الجماعة ثمانية حلول صحيحة من ١٥ حلا ممكناً ، ولقد أيد النصف الثانى من التجربة هذه النتائج . وحتى الجماعات المنتقاة بحيث لا تبالغ فى تمثيل من يجيدون حل المشاكل برهنت على تفوقها على الأفراد .

وتفوق تقرير الجماعة تفسره الحقائق التى سجلت أثناء عملية الملاحظة ، فالجماعة راجعت عملها بعناية أكثر من الأفراد ونبذت الاقتراحات الخاطئة . وعملية نبذ الاقتراحات هذه كانت تتضمن أحياناً نبذ بعض الاقتراحات الصحيحة ، ولكن الاقتراحات الخاطئة التى رفضت بلغت خمسة أمثال الاقتراحات الصحيحة التى رفضت أيضاً . هذا ويلاحظ أن من العدد الكلى للاقتراحات ، كانت الصحيحة فيها ضعف الخاطئة . وفضلا عن ذلك ، فإن أخطاء الشخص يكتشفها شخص آخر أسرع مما يكتشفها الفرد نفسه . وفى موقف الجماعة ، قد يرى المقترح لنفسه خطأ اقتراحه ، ولكن الذى حدث أن الاقتراحات الخاطئة التى رفضها الآخرون بلغت مرتين ونصف مرة الاقتراحات التى رفضها أصحابها . وفى حالة الفرد الذى يعمل بمفرده غالباً ما كان يبدأ بداية خاطئة ولا يبصر خطأه ، أما فى حالة الجماعة ، فهناك احتمال أكبر كثيراً لاكتشاف الخطأ فى بداية الأمر .

هذه النتائج الخاصة بتفوق الجماعة على الفرد فى الإدراك ، وتقدير إدراك الآخرين ، وحل المشكلات العقلية ، لا يمكن أن تعمم بحيث تشمل تقدير

المشكلات الاجتماعية . إن القيم الأساسية للناس قد تتداخل فى الموقف لدرجة أن التفاعل الاجتماعى قد يؤدى إلى مجرد تثبيت الخوف، كما فى حالة الحشد ، أو يزيد من درجة الصراع بين العصبتين المتعارضتين . إن جمع الناس حول نضد لتسوية الخلافات ليس بشرط كاف لضمان النجاح . حقيقة أن طريقة المؤتمر الجماعى يمكن استخدامها بكيفية مجدية ، ولكن فقط فى ظروف معينة . وعن طريق استخدام أساليب معينة كما فى تجارب ليڤين Lewin التى ستناقش فيما بعد .

وإذا تجدد عرض المشكلة واتجاهها أثناء مناقشة الجماعة . فيحتمل جداً الإفادة من التفاعل الاجتماعى فى مواقف حل المشكلات . ولقد أظهر هذا بخترف ولانج Bekhterev & Lange فى دراساتهما التجريبية فى مشكلة تتضمن قيماً اجتماعية[٩] . فلقد عرض على ٢٤ مدرساً بالمدارس العامة فى أثناء دراستهم لبرنامج عن الطفولة صورتان ، الصورة الأولى تبين ولداً يسرق تفاحاً من حديقة تفاح مع ظهور البستانى يحمل عصا . وفى الصورة الثانية ، قد قبض البستانى على الولد وأخذ يضربه . كتب المدرسون أولا أثر ما رأوه على أنفسهم ثم كتبوا حكمهم على الموقف . وبعد ذلك ناقشوا المسألة فى جماعة ودونوا أحكامهم ثانية ، ولقد ظهر عدد من التغيرات الهامة كنتيجة للمناقشة . فمثلا قبل المناقشة ، ذكر شخص واحد فقط أن الضرب خطأ من الناحية التربوية ، وبعد ذلك ظهرت هذه الملاحظة فى ١٢ تقريراً . وكذلك شخص واحد فقط رأى قبل الاجتماع أن الضرب يعتبر سلوكاً همجيًّا ، فى حين أن ٢٢ اتخذوا هذا الاتجاه فيما بعد . ولقد ذهب فى الأصل ثلاثة فقط إلى أنه يجب مراعاة دوافع الولد فى حين أنه بعد المناقشة ، رأى ١٨ منهم أنه إذا كان الجوع هو الحافز ، فإن العقاب لا محل له . تبين هذه التجربة كيف أن الناس فى جماعة سرعان ما يقبلون فكرة لم تطرأ لهم فى الأصل بل أحياناً يعطونها الأهمية الكبرى .

أجواء الجماعة

الجو الدكتاتورى والديمقراطى والفوضوى :

إن العمل التجريبى الأول قد وضع أسس تقاليد البحث المركز لدرجة كبيرة على الناحية العددية لتفوق الجماعة ، أو على أثر موقف الجماعة فى توحيد المستوى. أما البحث فى التغيرات الكيفية ، ومعرفة تعقد أجواء الجماعة. فهو تطور حديث ويرجع الفضل فى أغلبه إلى ليفين وأتباعه . ومن أشهر تجارب مدرسة ليفين هى دراسات ليفين Lewin ، وليبت Lippitt ، وهوايت White [١٣] للأجواء الدكتاتورية والديمقراطية والفوضوية .

وفى سلسلة من التجارب كونت أربعة نواد، وفى كل منها خمسة أولاد فى سن العاشرة ، وقد اتفقت النوادى بقدر الإمكان فى الصفات العقلية والجسمية والمركز الاجتماعى الاقتصادى والمميزات الشخصية وأنماط العلاقات الشخصية المتبادلة . ووفر لهذه النوادى ثلاثة أجواء اجتماعية مختلفة عن طريق أنواع مختلفة من الحكم والقيادة على الأسس الآتية :

الدكتاتورى

١ — يقرر القائد وحده سياسة العمل .

٢ — إملاء الخطوات وأوجه النشاط على أن تعطى خطوة واحدة فى الوقت الواحد ، ولا يكون لدى الجماعة أى معرفة بالخطة كلها .

٣ — يعين القائد الأعمال وزملاء العمل .

٤ — يوجه القائد مدحه ونقده من وجهة نظر شخصية أكثر منها موضوعية، ويبقى بعيداً عن المساهمة مع الجماعة إلا إذا استثنينا أوقات الإيضاح .

الديمقراطى

١ — تتقرر السياسة عن طريق تبادل رأى الجماعة وما تتخذه من قرارات مع تشجيع القائد ومساعديه .

٢ — مناقشة الخطة الشاملة والخطوات للوصول إلى أهداف الجماعة .

٣ — تقوم الجماعة بتعيين الأعمال ، ويختار الأعضاء زملاءهم فى العمل .

٤ — توجيه القائد للوم والنقد على أساس موضوعى لا شخصى ؛ يحاول القائد أن يكون عضواً فى الجماعة دون أن يشترك كثيراً فى العمل .

الفوضوى

١ — الحرية التامة للجماعة فيما يختص بسياستها بأقل مشاركة ممكنة من جانب القائد .

٢ — يسهم القائد بتوفير المواد ، ويذكر أنه سيمدهم بالمعلومات حين يطلب منه ذلك ، ولكنه لم يأخذ أى دور آخر فى نشاط الجماعة .

٣ — لايسهم القائد بأى شكل فى تعيين الأعمال أو مقارنة العمل .

٤ — ليس هناك أى محاولة لتقدير نشاط الجماعة وتنظيمها .

وقد تعادلت أوجه نشاط النادى وذلك بجعل النوادى الديمقراطية تتقابل أولا ، وتقرر أوجه النشاط ، ثم كلفت الجماعة المحكومة حكماً دكتاتورياً بالنشاط نفسه ، وأعطيت للجماعة الفوضوية المواد نفسها التى زودت بها الجماعات الأخرى . ولمعادلة شخصيات القادة ، فإنهم تناوبوا العمل فى جو الجماعة

فى المواقف المختلفة . وقد عملت لكل جماعة سجلات بالملاحظات وسجلات مختزلة . فضلا عن ذلك ، كانت هناك مقابلات خاصة للحديث مع الأولاد ومع آبائهم ومدرسيهم أثناء التجربة وبعدها .

آثار الأجواء الثلاثة :

لقد أدى الموقف الدكتاتورى إلى نوعين واضحين من الاستجابة : نمط بليد أو خاضع ، ونمط عدوانى ، وأظهرت المجموعة الخاضعة اعتماداً كبيراً على القائد ، ولم تبد أى استعداد للبدء فى العمل من الناحية الأخرى ، نجد أن الجماعة العدوانية أظهرت ما يدل على الصد والحرمان مع توجيه جزء من هذا العدوان نحو القائد .

أما الناحية المعنوية بمعنى التجاذب التلقائى بين أفراد الجماعة : والعمل معاً نحو هدف مشترك والإحساس بالشعور بال « نحن » فكان أكثر مايكون فى الجماعات الديمقراطية . ففى الجماعات التى كانت تعمل فى جو ديمقراطى ، كانت نسبة استعمال « نحن » إلى « أنا » أكبر مما فى المجموعة الفوضوية أو من مجموعة النظام الدكتاتورى بنوعيه ، كما أن الجو الديمقراطى كان ينطوى على ود أكثر وتذمر أقل .

إشارات الود التى ظهرت فى المتوسط من العضو
نحو باقى أعضاء جماعته ، كما ظهرت فى اجتماع لمدة ساعة

الديمقراطية	٢٦,١
الدكتاتورية (المجموعة العدوانية)	٢١,٧
الفوضوية	٢٠,٦
الدكتاتورية (المجموعة الخاضعة)	١٧,١

متوسط التذمر فى العضو

	الموجه نحو القائد	الموجه للأعضاء	المجموع
الديمقراطية	٠٫٨	٠٫٨	١٫٦
الفوضوية	١٫٥	٣٫١	٤٫٦
الدكتاتورية (المجموعة الخاضعة)	٢٫٠	٢٫١	٤٫١
الدكتاتورية (المجموعة العدوانية)	١١٫١	٤٫٤	١٥٫٥

وكانت حدة الطبع والعدوان نحو الزملاء من الأعضاء تتكرر فى الجماعات الدكتاتورية والفوضوية أكثر منها فى الجو الديمقراطى . وظهر فى السلسلة الأولى من التجارب فى الجماعة الدكتاتورية العدوانية توتر فيما بين الأشخاص مع الميل لتحميل بعضهم البعض الذنوب والأخطاء . وكانت الرغبة فى استرعاء انتباه القائد أكبر فى الجو الاجتماعى الدكتاتورى منه فى المواقف الأخرى . وفى المجموعة الخاضعة لوحظ أن الروح الاجتماعية العادية فى الأطفال قد ردعت بشكل ظاهر . وكانت تجرى بين الأطفال ، الواحد مع الآخر ، محادثات بصوت منخفض .

وإن كانت المجموعة الخاضعة فى الجو الدكتاتورى قد أظهرت أنها أقدر من الجماعات الأخرى على العمل المستمر ، فإن ذلك كان يحدث فقط أثناء حضور القائد . وحينما كان يصل القائد متأخراً ، فإن المجموعة الدكتاتورية لم تظهر أى استعداد لبدء أعمال جديدة أو مواصلة العمل فيما هو تحت أيديهم فى حين أن الجماعة الديمقراطية كانت تقوم بعملها وتستمر فيه حتى ولو لم يكن القائد حاضراً .

وقد أدى الموقف الدكتاتورى إلى إيجاد روح معنوية ضئيلة فى الجماعة ، وهذا يرجع جزئياً إلى أن المكافآت لم تأت من النشاط ذاته ، ولكن من مدح القائد . وفى الموقف الديمقراطى يمكن أن يصدر المدح عن أولاد آخرين .

وهكذا نجد أنه فى الجماعة الدكتاتورية ، كانت توجد منافسة أنانية لنيل استحسان القائد . ومدح أحد الأولاد معناه فشل الآخرين مما كان يساعدعلى هدم التوحيد أو التطابق الاجتماعى ، أما فى الموقف الديمقراطى ، فإن الفرد يمكن أن يوجه نحو أهداف جماعية ، ولا يتأثر بالتقدير الذى يناله الآخرون من القائد .

ويعزز ما قام به مورور وزوجته Mowrers من دراسة لأطفال إحدى المؤسسات ، النتائج التى وصل إليها ليبيت وهوايت بخصوص الجو الديمقراطى والجو الدكتاتورى[١٤] . وكانت المؤسسة عبارة عن دار للأطفال الذين تحتم ظروفهم العائلية المعيشة فى مؤسسة خاصة لفترة من الزمن أو بصفة دائمة ، ومن هذه الحالات الوفاة أو حالات الطلاق . ولما كانت المؤسسة شبه خاصة ، فقد تحدد عدد نزلائها الدائمين بحوالى ٢٥ طفلا . وقد أدار مورور وأعوانه المؤسسة لمدة سنة طبقاً للنمط التقليدى لنظام دكتاتورى مخفف . فلم يكن للأطفال أى دخل فى وضع القوانين أو فى إقرارات المكافأة أو العقاب أو فى أوجه النشاط الهامة للجماعة . وكانت القوانين تشرح بإيضاح للأطفال ، ويتبع نظام معين للثواب والعقاب على أساس موضوعى عادل ، وفى العام التالى تحول النظام إلى نظام ديمقراطى ، اشترك الأطفال فى ظله فى وضع القرارات ولم تكن تعطى لهم حرية تامة ، ولكنهم كانوا يؤدون دوراً فى وضع القوانين ، وكانت لهم محاكمهم الخاصة ومحلفوهم لتقرير الذنب والعقاب ، ولو أن أحد الكبار كان يتدخل لتخفيف قسوة أحكامهم .

والتشابه بين نتيجة مورور من ناحية ونتيجة ليبيت وهوايت من ناحية أخرى يزيدنا اقتناعاً بقيمة النتائج ، وخاصة أن الملاحظة فى الحالتين تمت تحت أوضاع مختلفة ، إن دراسة ليبيت وهوايت رسمت تجريبياً بضوابط أحسن ، ولكنها كانت مقصورة على ناحية تجريبية خاصة فقط بفترة لعب محدودة للأطفال أما فى حالة دراسة مورور ، فإن الدراسة تناولت موقفاً حيوياً بأكمله وكانت تنقصها الضوابط التجريبية ، لأن مورور وأعوانه لم يضعوا نظامهم لأغراض

تجريبية . فهم قد اتبعوا أولا نظاماً تقليدياً يثقون فى صلاحيته ، ثم اقتنعوا بضرورة التغيير ، ومع ذلك ، فإن كلا من دراسة موروز وليبيت وهوايت أسفرت عن نتائج جوهرية مماثلة فيما يختص بالسياسة الديمقراطية فى مقابل السياسة الدكتاتورية .

الجماعة كوسيلة للتغير الاجتماعى

إن الدراسة العلمية لأجواء الجماعة ، كانت فى الواقع أبطأ من عمل الأخصائيين المهرة فى دراسة نشاط الجماعات . فكثير منهم قد استغلوا المبادئ التى ترمى إلى الإسهام الديمقراطى للفرد فى جهود الجماعة ، وتيسير أمور الجماعة ، وبناء الروح المعنوية ، وتغيير اتجاهات الجماعة . ولقد تأثرت مدرسة ليفين بهؤلاء الأخصائيين والنتائج الأولى لتجارب الجماعة الديمقراطية مع الأطفال ؛ فشرعت تجرى تجاربها فى مستوى البالغين . وقد وجه هذا البحث نحو مشكلة تغيير اتجاهات الناس وعاداتهم . فتغيير اتجاه الكبار وعاداتهم التى استغرق تكوينها وقتاً طويلاً ليس عملاً سهلا . وللمبادئ المتضمنة فى مثل هذا التعديل للسلوك أهميتها بالنسبة لكل مجالات علم النفس تقريباً .

التصميم والتنفيذ فى الجماعة :

من أولى التجارب التى أجريت على تغير الجماعة عن طريق إسهام الأعضاء تلك التى أجريت أثناء الحرب العالمية الثانية فى محاولة لجعل ربات البيوت الأمريكيات يتنازلن عن القطع المختارة من اللحم ، ويزدن من استخدام قلوب البقر والكلاوى والجزء المسمى « حلويات »[١٥] وقد استخدمت فى التجربة ست مجموعات من المتطوعات فى الصليب الأحمر للتمريض المنزلى . ولم تتح للمجربات فرصة الاجتماع كل مرة إلا مدة ٤٥ دقيقة فقط ، وفى ثلاث من المجموعات

الست كانت تستخدم طريقة المحاضرات فى ربط مشاكل التغذية بمجهود الحرب ، مع الاستعانة باللوحات لبيان قيم التغذية لأنواع الطعام غير المفضلة . وقد أثارت السيدة المحاضرة انتباه المستمعات وتشوقهن وذلك بإخبارها عن نجاحها فى أسرتها مع شرح وصفات الأكل التى تستعملها . أما فى المجموعات الثلاث الأخرى ، فقد استخدمت طريقة مختلفة ، فعرضت المشكلة على المجموعة ثم ربطت بجهود الحرب. والمناقشة هنا اشتركت فيها ربات البيوت أنفسهن، وركزت حول كيفية جعل ربات البيوت الأخريات يستعملن الأطعمة غير المفضلة ، وتناقشن فى العقبات التى تقف أمام هذه الخطة والطرق التى يمكن بها التغلب عليها .

وقد استعانوا بخبير للأطعمة للإجابة عن الأسئلة . وفى نهاية المناقشة طلب إلى السيدات المستعدات لمحاولة أحد هذه الأطعمة خلال الأسبوع المقبل برفع أيديهن وسجلت النتيجة. ثم توبعت النتائج فظهر فرق كبير بين الطريقتين ، فثلاثة فى المائة فقط من نساء مجموعات المحاضرة استعملت إحدى قطع اللحوم التى لم تستعملها قبل ذلك ، بينما ٣٣٪ من سيدات مجموعات المناقشة استخدمت أحد هذه الأطعمة .

ويتضح تفوق القرار الجماعى على المحاضرة والتلقين من تجربتين أخريين على عادات الطعام . كانت الأولى حول الدعوة إلى زيادة الاستهلاك المنزلى من اللبن الحليب بين ربات بيوت جمعن تبعاً للجيرة التى يعشن فيها . وقد أعطيت ثلاث مجموعات منهن محاضرة مشوقة للغاية فى حين اتبعت الثلاث المجموعات الأخرى طريقة المناقشة خطوة خطوة . وبعد أسبوعين وأربعة أسابيع ، بينت النتائج أن مناقشة الجماعة كانت أبعد أثراً فى زيادة الاستهلاك المحلى للبن . ومما يسترعى النظر فى هذه التجربة أن قائد جماعة المناقشة لم يكن إخصائياً مدرباً ، كما فى الدراسة التى أجريت بخصوص اللحوم غير المفضلة . وعلى ذلك فالنتائج لا ترجع للمهارة الشخصية لأخصائى اجتماعى مجرب .

وقد اتبعت التجربة الثانية خطة مماثلة ، ولكن فى هذه الحالة كان الهدف

زيادة استعمال أمهات الريف لعصير البرتقال وزيت السمك فى تغذية أطفالهن. فضلا عن ذلك ، فإن التلقين الفردى ، لا المحاضرة ، قد استعمل لنصف الأشخاص ، والمناقشة للنصف الآخر ، ولو أن التلقين الفردى كان يعنى انتباه أكثر من جانب الخبير لكل أم فى المجموعة ، فإن هذه الطريقة كانت بالتأكيد أضعف من مناقشة الجماعة . فقد أظهرت النتائج بعد أسبوعين وأربعة أسابيع أن عدد الأمهات اللائى استخدمن عصير البرتقال وزيت السمك فى تغذية أطفالهن كان أكبر فى مجموعة المناقشة من النصف الآخر الذى كان يتلقى تلقيناً فرديًّا .

قرار الجماعة والروح المعنوية بين عمال الصناعة :

وقد اتضحت كذلك أهمية مساهمة أفراد الجماعة ووصولها إلى إقرار جماعى فى رفع مستوى العمل والأداء فى الصناعة[٦١] إن صناع مكنات الخياطة المجربين فى أحد المصانع كانوا يعقدون اجتماعات قصيرة مع السيكولوجى فى المصنع مرة كل أسبوع لمدة ثلاثة أسابيع . وكانوا يتناقشون فى هدف الإنتاج الذى رأوا أنه يمكنهم الوصول إليه . ووصلوا فى المقابلة الأولى إلى أنه يمكن الحصول على إنتاج قدره ٨٤ وحدة فى الساعة مع العلم بأن المستوى كان من قبل ٦٠ وحدة . وكان المفروض أن أعلى ما يمكن الوصول إليه هو ٧٥ وحدة . وبعد قرار الجماعة توصلوا إلى الهدف وهو ٨٤ وحدة ، وفى المقابلة الثانية رفعت الجماعة الهدف إلى ٩٤ وحدة ولكنهم وجدوا أن ذلك أعلى مما يجب . وفى المقابلة الثالثة قرروا أن يجعلوا الهدف ٩٠ وحدة لمدة خمسة أسابيع . وقد أدى ذلك إلى نسبة إنتاج فعلية قدرها ٨٧ ليس فقط لمدة خمسة أسابيع ولكن لشهور بعد ذلك . وقد استعملت فى التجربة جماعات ضابطة للمقارنة ، واجتمع السيكولوجى بالعمال فيها وطلب منهم أهدافاً أعلى ، ولم تستخدم هنا طريقة المناقشة أو المساهمة فى الوصول إلى قرار ، فكانت النتيجة أنه لم يكن هناك زيادة تذكر فى الإنتاج .

ومن الصعب إدخال تغيرات فى طريقة العمل بين العمال، وخاصة حينما تؤدى إلى الاستغناء عن مهارة العامل بتبسيط العمل أو جعله آلياً . ففى مصنع لعمل الأثواب ، حين اضطرت الشركة إلى تبسيط عمليات الإنتاج للوقوف فى وجه المنافسة، قام فرنش G. R. French بتجربة لاستخدام «مساهمة الجماعة»(١٧). وفى أغلب أقسام الشركة نفذ التغيير بالطريقة العادية أى عن طريق منشور من الإدارة مما أدى إلى هبوط واضح فى الإنتاج . كما استدعى نفر قليل من موظفى الشركة وعرضت عليهم المشكلة ، فتناقشوا فى الأمر وقرروا فى النهاية أن أفضل حل هو تبسيط العملية بطريقة مماثلة للطرق الجديدة التى قدمتها الشركة لمجموعات العمل الأخرى . ونظراً إلى أنهم قد أصدروا هم بأنفسهم القرار فتقدموا لتنفيذه، وكانت النتيجة ازدياداً فعلياً فى الإنتاج .

لماذا تكون قرارات الجماعة فعالة :

هذه التجارب تقدم مثلا قوياً لدور الجماعة فى تغيير سلوك الفرد واتجاهاته . إن كورت ليفين فى تفسيره النظرى يفترض حالة توازن فى أى جماعة ذات مستوى مستمر من الأداء ، المستوى هو محصلة القوى التى تعمل على رفع الأداء من ناحية ، وقوى المقاومة التى تعمل على الهبوط به من ناحية أخرى . هذا المستوى المستقر المتجمد يمكن أن نحطمه بإدخال قوى جديدة . فإذا كانت هذه القوى الجديدة عوامل إضافية تسعى إلى مستوى أعلى من الأداء ، فقد يكون أثرها وقتياً .

فإذا اختل التوازن بإزالة قوى المقاومة ، فإن المستوى الجديد من الأداء يمكن أن يستمر على الدوام . فمثلا ، إذا كنا نحاول رفع مستوى التسامح العنصرى فى طائفة ، فإننا نستطيع أن نزيد القوى الفعالة التى تجعل الناس أكثر تساهلاً بالالتجاء إلى شعورهم بالعدالة، وإيمانهم بالديمقراطية . وبعد انتهاء مثل هذه المحاولة ، قد نجد ، على أى حال ، أن الجماعة ترجع إلى مستوى سلوكها السابق . فإذا كنا نعالج المقاومة داخل الأفراد عن طريق أساليب الجماعة

ونغير اتجاهاتهم الأساسية ، فإن التغيير الناتج من ناحية التسامح سيكون كسباً دائماً . وهناك عمليتان أساسيتان فى مساهمة الجماعة وقرار الجماعة تفسران الاستعداد الأكبر لتعديل السلوك أو الزيادة العظمى فى الأداء عن طريق الأساليب الجماعية . تشتق العملية الأولى من اعتمادالفرد على الجماعة ، فنحن نحتاج إلى تعضيد زملائنا وسندهم ، فعلى هامش الشعور يوجد دائماً الإحساس بأن الآخرين يتوقعون منا أن نسلك تبعاً لمعايير الجماعة . فمنذ الطفولة المبكرة نما فينا سلوك اجتماعى كجزء من نمط متبادل على أساس ما يتوقعه كل من الآخر .

فلكى نتصرف تصرفاً صحيحاً يجب أن نرى سلوكنا منعكساً فى أفعال الجماعة ، فإذا كان معارفنا وأصدقاؤنا لا يرون العالم كما نراه ، ولا يعبرون عن الاتجاهات نفسها ولا يتقبلون أفكارنا ، ولا يعترفون بها ، فإن هذا سيؤدى إلى وهن عزيمتنا . ولقد بين آش S. Asch فى سلسلة من التجارب الأثر الهدام لجعل فرد ينحرف عن جماعته فى تفسيراته لمنبهات إدراكية بسيطة . وقد تعاون الأعضاء الآخرون من الجماعة مع المجرب بإصدار أحكام إدراكية مضادة لملاحظات واحد من الجماعة لم يكن يعرف أنه « شذ عنهم » . وتحت هذا الضغط كان يتنازع المنحرف عاملان ، التطابق مع الجماعة أو الأخذ بالحكم الذى كان يبدو دائماً صحيحاً بالنسبة له .

هذا الاعتماد على الجماعة أكثر من مجرد الرغبة فى استحسان اجتماعى عام . فبينما نحن نريد بوجه عام أن يعترف بنا المجتمع ويكافئنا ، فإننا نتأثر بقوة بالناس الذين يحيطون بنا مباشرة ، وبالجماعات المتجابهة والتى نشترك فى عضويتها سواء بصورة رسمية أو غير رسمية . كما أننا نكون أيضاً متأثرين فى أوجه النشاط اليومية التى تنعكس فى سلوك من نرتبط بهم . ويقول ليفين « إن الخبرة فى التدريب على القيادة ، فى تغيير عادات الطعام ، فى الإنتاج فى العمل ، الإجرام ، إدمان الخمر ، والتحيزات ، كلها تبين أنه عادة من الأسهل تغيير الأفراد فى جماعة عن تغيير أى واحد منهم منعزلا .

وهناك عملية أخرى فعالة فى التجارب على التغير عن طريق مساهمة الجماعة وقراراتها .

وأوجه النشاط هذه تحرك القوى الهائلة التى تتضمنها الدوافع الذاتية . فالفرد الذى يسهم فى وضع الخطط والقرارات يمكنه أن ينظر إلى هدف الجماعة الجديد كهدفه الخاص . فقيامنا بعمل قراراتنا الخاصة يعطينا شعوراً بالقوة والحرية فضلا عن الشعور بالأهمية . والمشاركة فى وضع خطط الجماعة تتيح لنا فرصة للتعبير عن قدراتنا عن الشعور بالتطابق مع شىء أكبر من أنفسنا . وإن أغلب أعمال الروتين فى العالم تتم عن طريق الدوافع الخارجية — عن طريق الثواب والعقاب — غير الملازمة للعمل نفسه . على أى حال ، حينما نحاول الالتجاء إلى مصادر الدوافع الداخلية عن طريق إعطاء الأفراد فرصة للنظر إلى العمل كأنه خاص بهم ، يزداد الأداء زيادة كبرى . وهذا يعتبر جزئياً السر فى الروح المعنوية العالية والإنجازات غير العادية التى قام بها فى غاراتهم رجال كارلسون Carlson فى الحرب العالمية الثانية .

وعملية جعل الدوافع أمراً داخلياً عن طريق استعمال الدوافع الذاتية ، وعملية التقوية الجماعية السابق ذكرها ، لاشك أنهما متصلان بعضهما ببعض . كثيراً ما تقمع أنانية الفرد فى سبيل التطابق مع معايير الجماعة . وسيكولوجية فرويد قائمة على النزاع بين النواهى الاجتماعية لمعايير الجماعة الممثلة داخلياً فى الذات العليا ، والرغبات البدائية الفردية الأنانية . ولكن طريقة الإسهام مع الجماعة ووضع القرارات الجماعية تخفض على أى حال من شدة هذا الصراع ، لأن الفرد نفسه يسهم فى تقرير المعايير الجماعية . وبذلك نجد أن مجموعتين من القوى القوية التى تكون غالباً متعارضة يمكنها أن ترتبط وتقوى كل منهما الأخرى .

وصحيح أيضاً أنه فى تغيير اتجاهات الجماعة وعاداتهم ، نجد أنه من الصعب معارضة الأحكام القائمة فعلا داخل الجماعة وأنه يمكن تعديلها بمحاولة إدخال أحكام من مصدر أقوى . ولكن تعديل حكم الجماعة يكون أكثر

فاعلية إذا تم فى الاتجاه المرغوب فيه . وهذا يمكن الوصول إليه عن طريق التصرف الديمقراطى للجماعة نفسها .

أثر عضوية الجماعة فى قيم الفرد واتجاهاته

نمو الاتجاهات العنصرية :

إن قدراً كبيراً من المعايير الاجتماعية لثقافتنا اكتسبناه عن طريق العضوية ، رسمية كانت أو غير رسمية، فى جماعات كثيرة من مجتمعنا . وقد تبين هارتلى وزوجته Hartley فى دراستهما لنمو الاتجاهات نحو الزنوج أنه ليس الاحتكاك بالزنوج، ولكن الاحتكاك بالاتجاه السائد فى المنزل والجيرة والجماعات الأخرى نحو الزنوج هو الذى يقرر التعصب أو التحيز[١٨] فإذا ما تكونت الاتجاهات والاعتقادات خلال عضوية الجماعة المبكرة ، فإن المشكلة الطريفة تكون فى قابليتها للتغير فى الحياة فيما بعد حينما يكتسب الفرد عضوية فى جماعات جديدة مختلفة . ونجد أن هذه المشكلة ذات أهمية ضئيلة فى كثير من الثقافات البدائية وفى المجتمع الإقطاعى نظراً إلى أن الجماعات قليلة ومتفقة بوجه عام فى تحديد قيمهم . وفى مجتمعنا الديناميكى نجد أن الناس غير ثابتين اجتماعياً ويدخلون خلال حياتهم كثيراً من الجماعات المختلفة . والدرجة التى يتغيرون بها عندما يصبحون جزءاً من جماعة جديدة تتوقف على عوامل كثيرة : مثلا درجة الاتجاهات الأصلية وتقويتها خلال الاتصال بالارتباطات الماضية ، والعمر السيكولوجى للفرد ، وغرض الفرد ، ودوره فى محيط الجماعة الجديدة ، والعلاقة بين القيم القديمة وأهداف الجماعة الحالية . والبحوث فى هذه الناحية قد أسفرت عن نتائج شائقة .

لقد قاس سمز وباتريك Sims & Patrick اتجاهات ثلاث جماعات من الطلبة نحو الزنوج :

١ — جماعة جنوبية، أى إن الطلبة يأتون من بيوت فى الجنوب ويلتحقون بجامعة ألباما .

٢ — جماعة شمالية فى الجنوب، أى طلبة يأتون من بيوت فى الشمال ويلتحقون بجامعة ألباما .

٣ — جماعة شمالية، أى طلبة يأتون من بيوت فى الشمال ويلتحقون بجامعة أوهيو [١٩]، وكانت الجماعة الشمالية أكثر الجماعات لطفاً وودًّا نحو الزنوج ، وكانت الجماعة الجنوبية أقلها ، أما الجماعة الشمالية فى الجنوب فكانت تشغل مركزاً وسطاً بين الاثنين ، ولم تكن هناك فروق هامة بين الطبقات فى المجموعة الجنوبية فى درجة التحيز ، ولكن التحيز بين المجموعة الشمالية فى الجنوب كان يزداد باطراد تبعاً لعدد السنوات التى أمضاها الطالب فى الكلية ، هذه النتائج توحى بأن الطلبة الشماليين يكتسبون اتجاهات الثقافة الجنوبية، كلما طالت حياتهم فيها ، ومن الممكن أن يكون هناك تفسير آخر ، وهو أن الطلبة الشماليين الذين يحبون القيم الجنوبية هم فقط الذين يستمرون أربع سنوات فى الجامعة الجنوبية ، أما الآخرون فيخرجون أو ينتقلون إلى جامعة أخرى . والدراسة الآتية التى قام بها نيوكم T. Newcomb تبين أن التفسير الأول هو الصحيح [٢٠] .

تغير الاتجاهات بين طائفة من الطلبة الجامعيين :

لقد درست طائفة كلية بننجتون Bennington بين سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٩ . ولقد كانت هذه الكلية فى وقت الدراسة تبالغ فى اهتمامها بالتعليم والتوجيه الفردى ، وفى عدم ارتباطها بالشكليات ، وفى جماعاتها الصغيرة . فكانت طائفة معتدة بذاتها ، متكاملة ، ذات اتجاه واع متيقظ نحو المسائل العامة ، ولها وجهات نظر أكثر تحرراً نحو المشاكل الاقتصادية والاجتماعية أكثر من أغلب الكليات . ولقد قيست اتجاهات الطلبة فى ١١ ناحية اجتماعية مختلفة يدخل فيها : اتفاقية روزفلت للعمال The New Deal ، النزعة الدولية ، الحرب

الأهلية فى إسبانيا ، س . ا . و.C.I.O * ، اتفاقية ميونيخ . كما استخدمت أيضاً اختبارات للمعلومات فى المسائل العامة . وكانت تقديرات الطلبة بحيث يقدر أحدهم الآخر فى المظاهر المتنوعة للمواطن فى الطائفة .

وكما فى دراسة سيمز وباتريك أظهر القدماء اتجاهات مميزة أكثر لقيم الجماعة من الطلبة الجدد . وفى هذه الحالة ، أصبحت الاتجاهات أكثر وضوحاً وحرية فى الفرق المتقدمة . وفضلا عن ذلك فقد قرر نيوكم أن التحرر المتزايد لم يكن راجعاً لعامل الانتقاء المحتمل بسبب تخرج عدد كبير من المحافظين فى هذه الكلية فى ذلك الوقت . ولقد أظهرت التقديرات التتبعية لهؤلاء الطلبة خلال سنواتهم الأربع تحرراً متزايداً . بعبارة أخرى ، هناك دلالة قاطعة على أن العضوية فى طائفة كلية بنتنجتون كان معناها التشبع بقيم الجماعة السياسية والاجتماعية فضلا عن ذلك ، فإنه مع ازدياد التحرر ، كان هناك ازدياد فى معرفة المسائل السياسية التى كانت تهم الناس فى هذه الأيام ولكن ، على أى حال ، لم يطبع كل الطلبة بطابع هذه البيئة بالدرجة نفسها . فالطلبة الذين كانوا يسهمون فى أمور الكلية بنشاط أكبر ، والذين حصلوا على أعلى تقدير كمواطنين فى الطائفة هم الذين اكتسبوا تماماً قيم الطائفة المتجردة ، ومن كلمات نيوكم أن العضوية فى الجماعة « تتضمن اكتساب الأنماط الكاملة للسلوك المتبادل » .

مبادئ التغير الاجتماعى :

إن تمثيل الأفراد لقيم الجماعة جزء من المشكلة الكبرى الخاصة بالأساس الفردى للتغير الاجتماعى . فقد يتشبع الأفراد باتجاهات جديدة ليس فقط حينما يكتسبون عضوية جماعة جديدة ، ولكن حينما يحتكون بطرق مختلفة من

(*) يقصد بها Coal Industry Organization أى نقابة عمال مناجم الفحم ، ويرأس هذه النقابة جون لويس John Lewis (المترجم)

حياة الجماعات الأخرى . ولقد كان الرأى الذى ناضل تارد Tarde فى الدفاع عنه يذهب إلى أن المحاكاة تسير فى الإنسان من الداخل نحو الخارج ، وأن القيم الأساسية لا بد أن تقبل قبل أن تكتسب مظاهرها الخارجية[٢١]. فتمثيل الأفكار والسلوك يتبع هذا المبدأ بصفة عامة . وعلى ذلك فقد احتفظ الآميش Amish وهم طائفة دينية فى بنسلفانيا بطريقتهم المميزة فى الحياة لوقت حديث جداً ، وبقيت ثقافتهم كما هى لا ينفذ إليها شىء من الاتجاهات الرئيسية للمجتمع الأمريكى . والسبب فى ذلك أنهم كانوا ينبذون القيم الأساسية للحضارة المادية الآلية ، وكذلك حافظ المجتمع الإقطاعى على استقراره عن طريق إيمانه بالمبادئ التقليدية التى تضفى على النظم البشرية صفات وراثية تفوق الطبيعة .

ولكن هناك بعض الاستثناءات لتعميم تارد هذا . فالناس يقبلون التحسينات المادية فى الحياة حتى إذا كانت ضد قيمهم القديمة . والنظام الإقطاعى قد تقوض فى النهاية لأن النبلاء رحبوا بالضروريات ومظاهر الترف التى يسرها لهم التجار ، كذلك صناعهم ، فتهاونوا فى قوانينهم الإقطاعية لكى تتاح لهم فرص التمتع بمباهج الحياة ، وبالكيفية نفسها نجد أن جماعات المهاجرين تمثلوا الثقافة الأمريكية وذلك لترحيبهم بالمزايا المادية التى توفرها لهم هذه الحياة . وقام كاربنتر وكاتز فى إحدى المدن الأمريكية ببحث عن تمثيل المهاجرين البولنديين للثقافة الأمريكية . وقد أدت دراسة ثلاثة أجيال من هؤلاء المهاجرين[٢٢] إلى أن التغير نحو الثقافة الأمريكية يتم على خطوات . فيبدأ فى اتجاه تقبل الوسائل المادية الحديثة كالثلاجات والمكانس الكهربية ثم تدريجاً يتقبلون المستويات والطرق التى تستخدم للمحافظة على سلامة الصحة ، وأخيراً يكتسبون الأفكار ، ويتقبلون الاتجاهات السائدة فى المجتمع . وعلى ذلك ، فعلى الرغم من المبدأ العام الذى ذكره تارد من أن المحاكاة تسير فى الإنسان من الداخل إلى الخارج ، إلا أن العملية البطيئة لتمثيل الثقافة التى يتم بها تعديل بعض نواحى السلوك قد تؤدى بطريقة خفية إلى تغيير القيم الأصلية .

المراجع المشار إليها فى الفصل

1. F.H. Allport, The influence of the group on association and thought, *J. Exper. Psychol.*, 1920, 3, 159-182.
2. J.F. Dashiell, Experimental studies of the influence of social situations on the behavior of individual human adults, Ch. 23 in *A Handbook of Social Psychology*, edited by C. Murchison. Worcester, Mass.: Clark University Press, 1935.
3. I.C. Whittemore, The influence of competition on performance, *J. Abn. and Soc. Psychol.*, 1924, 19, 33-49; 1925, 20, 17-33.
4. E. Lorenz, Zur psychologie der industriellen Gruppenarheit, *Zsch. f. angen. Psychol.*, 1933, 45, 1-45.
5. L.E. Travis, The influence of the group upon the stutterer's speed infree association, *J. Abn. and Soc. Psychol.*, 1928, 23, 45-51.
6. W. Moede, *Experimentelle Massenpsychologie*. Liepzig : Hirzel, 1920.
7. M. Sherif, A study of some social factors in perception, *Arch.Psychol.*, 1935, No. 187.
8. H. Münsterberg, *Psychology and Social Sanity*. New York : Doubleday-Page, 1914.
9. W. Bekhterev and M. de Lange, Die ergebnisse des Experiments auf dem Gebiete der Kollectiven Reflexologie, *Zsch. f. angen. Psychol.*, 1924, 24, 305-344.
10. A. Jenness, Social influences on the change of opinion, *J. Abn. and Soc. Psychol.*, 1932, 27, 29-34; 279-296.
11. G. Murphy, L.B. Murphy, and T. Newcomb, *Experimental Social Psychology*. New York : Harper and Brothers, 1937.
12. M.E. Shaw, A comparison of individuals and small groups in the rational solution of complex problems, *Amer. J. Psychol.* 1932, 44, 491-504.
13. R. Lippitt and R.K. White, The "social climate" of children's groups. Ch. 28 in *Child Behavior and Development*, edited by R.G. Barker, J.S. Kovnin, and H.F. Wright. New York : McGraw-Hill Book Company, Inc., 1943.
14. O.H. Mowrer, Authoritarianism vs. self government in the cmanagement of children's aggressive reactions as preparation for itizenship in a democracy, *J. Soc. Psychol.*, 1939, 10, 121-126.

15. K. Lewin, Group decision and social change. Ch. 7 in *Readings in Social Psychology*, edited by T. Newcomb and E. Hartley. New York : Henry Holt, 1947.
16. N.R.F. Maier, *Psychology in Industry*. New York : Houghton-Mifflin Company, 1946.
17. J. French and L. Coch, Overcoming resistance to change, *Human Relations*, Vol. 1, No. 4, 1948.
18. E. Hartley and R. Hartley, *Problems in Prejudice*. New York : Kings Crown Press, 1946.
19. V. Sims and J. Patrick, Attitude toward the Negro of northern and southern college students, Ch. 7 in *Readings in Social Psychology*, *op. cit.*
20. T. Newcomb, *Personality and Social Change*. New York : Dryden Press, 1943.
21. G. Tarde, *The Laws of Imitation*. New York : Henry Holt and Company, 1903.
22. N. Carpenter and D. Katz, A study of acculturization in the Polish group of Buffalo, 1926-28, University of Buffalo Studies, Vol. 7, No. 4, June, 1929.

مراجع عامة

Allport, F.H. *Social Psychology*. Cambridge : Houghton-Mifflin Company, 1924.

Murchison, C. *A Handbook of Social Psychology*. Worcester, Mass.: Clark University Press, 1935.

Murphy, G., Murphy, L.B., and Newcomb, T. *Experimental Social Psychology*. New York : Harper and Brothers, 1937.

Newcomb, T., and Hartley, E. *Readings in Social Psychology*. New York : Henry Holt and Company, 1947.

Sherif, M. *Outline of Social Psychology*. New York : Harper and Bcothers, 1948.